أمارات القلب السليم

كتبه غريب الديار بتاريخ الثلاثاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٤٢

يقول ربنا عز وجل في وصف من ينجيه الله يوم القيامة

﴿ إِلّا مَن أَتَى اللَّهَ بِقَلبٍ سَليمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٩]

فكيف نحصل على قلب سليم في هذه الدنيا قبل الآخرة, وما هي أمارات القلب السليم لنعرف ما إذا كنا فعلا نمتلك قلوبا سليمة أم لا ؟

إننا نحن معشر المؤمنين ليس عندنا مصدر للتلقي والتشريع غير وحي الله عز وجل قرآنا وسنة, ولذلك فإننا نلجأ إلى الوحي لنعرف أمارات القلب السليم.

بالعودة إلى الوحي نجد ربنا عز وجل يقول :

﴿ وَإِنَّ مِن شيعَتِهِ لَإِبراهيمَ۝إِذ جاءَ رَبَّهُ بِقَلبٍ سَليمٍ ﴾ [الصافات: ٨٣-٨٤]

إذن إبراهيم صلى الله عليه وسلم له قلب سليم, لذلك علينا أن نعرف الصفات التي اتصف بها إبراهيم والتي دلت على سلامة قلبه.

الجواب في الآيات التالية حيث قال ربنا عز وجل:

﴿ إِذ قالَ لِأَبيهِ وَقَومِهِ ماذا تَعبُدونَ۝أَئِفكًا آلِهَةً دونَ اللَّهِ تُريدونَ۝فَما ظَنُّكُم بِرَبِّ العالَمينَ۝فَنَظَرَ نَظرَةً فِي النُّجومِ۝فَقالَ إِنّي سَقيمٌ۝فَتَوَلَّوا عَنهُ مُدبِرينَ۝فَراغَ إِلى آلِهَتِهِم فَقالَ أَلا تَأكُلونَ۝ما لَكُم لا تَنطِقونَ۝فَراغَ عَلَيهِم ضَربًا بِاليَمينِ۝فَأَقبَلوا إِلَيهِ يَزِفّونَ۝قالَ أَتَعبُدونَ ما تَنحِتونَ۝وَاللَّهُ خَلَقَكُم وَما تَعمَلونَ۝قالُوا ابنوا لَهُ بُنيانًا فَأَلقوهُ فِي الجَحيمِ۝فَأَرادوا بِهِ كَيدًا فَجَعَلناهُمُ الأَسفَلينَ ﴾ [الصافات: ٨٥-٩٨]

حيث أن هذه الآيات بدأت ب "إذ" التعليلية أي أنه جاء ربه بقلب سليم بدليل ...

إذا ألقينا نظرة فاحصة على هذه الآيات باحثين حالة إبراهيم النفسية فيها حال خطاب قومه, نجده عليه السلام في حالة غضب شديد, يقرع قومه ويوبخهم أشد توبيخ

إِذ قالَ لِأَبيهِ وَقَومِهِ ماذا تَعبُدونَ

أَئِفكًا آلِهَةً دونَ اللَّهِ تُريدونَ

فَما ظَنُّكُم بِرَبِّ العالَمينَ

إن إبراهيم يوجه خطابه لقومه بصفة استعلائية وكأنه لا يقيم لهم أدنى وزن، فهو في خطابه لهم يشبه خطاب السيد القوي الجبار لعبده الضعيف المقرع له، والعبد أمامه متذلل خاشع بصره مهطع.

أَئِفكًا آلِهَةً دونَ اللَّهِ تُريدونَ !!!

إن إبراهيم ملئ قلبه بالله وحده، فلم يعد في قلبه وزن لغير الله عز وجل، فلا يرى لقومه قوة ولا بطشا، فهم أمامه أضعف من جناح باعوضة، يوبخهم في استعلاء منقطع النظير

هذا الاستعلاء والاستياء الشديد من شركهم بالله صوره القرآن في صورة حية وإبرهيم يصب جام غضبه على آلهة قومه فيقول :

فَراغَ إِلى آلِهَتِهِم فَقالَ أَلا تَأكُلونَ

ما لَكُم لا تَنطِقونَ

فَراغَ عَلَيهِم ضَربًا بِاليَمينِ

لك أن تتخيل المشهد وإبرهيم ينفث غضبه الشديد على آلهة قومه، فيخاطبهم ليس لكونه يعرف أنهم سيجيبون وإنما احتقارا لهم وغضابا، وقد صور القرآن إبراهيم وهو يحطمهم بيمينه بكل قوته، فاليمين هنا كناية عن القوة.

إبرهيم عليه السلام رغم كل ما فعل من توبيخ لقومه وتحطيم لآلهتهم لم يفكر لحظة بما قد يفعلون به، مطلقا وواصل في تقريع قومه وفضحهم وكأنهم لا شيء حين قال :

قالَ أَتَعبُدونَ ما تَنحِتونَ۝وَاللَّهُ خَلَقَكُم وَما تَعمَلونَ۝

﴿ أُفٍّ لَكُم وَلِما تَعبُدونَ مِن دونِ اللَّهِ أَفَلا تَعقِلونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٧]

إن قلب إبراهيم الذي عامل الكفار وآلهتهم هذه المعاملة هو القلب السليم حقا فلا شيء فيه غير الله، ولا اعتبار لأي قوة غير الله عز وجل

أين القلب السليم هو الذي صاحبه لا يرى إلا قوة الله، ويرى الكفار وبطشهم وجبروتهم وكأنهم في ضعغهم جناح باعوضة أحقر من أن يقيم لهم وزنا.

أي أنك إذا أردت الحصول على قلب سليم أفرغ قلبك من كل شيء سوى الله عز وجل.

هذا الأمر قد لا يكون بالسهل في البداية ولكن من سعى على درب إبراهيم عليه السلام سيصل فهو درب مجاهدة ومفاصلة وربنا قال

< وَالَّذينَ جاهَدوا فينا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحسِنينَ > [العنكبوت: ٦٩]